أميرة الزنجبار

محمد العروسي المطوي



محمد العروسي المطوي

أميرة زنجبار

الدار التونسية للنشر

اميرة الزنجبار

كان الشيخ أبو بكر الفالحُ مشهورا في المدينة بِوَرَعِهِ وتُقَاهُ ، وكان من كِبار التُّجَّارِ الذين عُرِفُوا بحُسن المُعاملةِ مع كلّ الناس . وكان له ثلاثةُ أولادٍ .

وعندما أدركه الهرمُ وأَحسَّ بِقُرب أَجَلِهِ أراد أنْ يُجَرِّب أولادَه وأن يَخْتَبِرهُم واحدًا بعد واحدٍ لِيَعْرِفَ مَنْ هُوَ الأَصْلَحُ منهم حتّى يُسلِّمَ إليه تِلْكَ الأموالَ الكثيرةَ التي قضَى في جَمْعِها وادِّخارها عشراتِ السِّنينَ من عُمُره المملوءِ بالكَدِّ والنشاطِ والعمل.

وفي أحد الأيام قال الشيخ أبو بكر لِزَوْجَتِه :

- إنّني أريد أن أَختَبِرَ أولادَنا لأعْرفَ مِقدارَ حِرْصِهم على حِفْظ المالِ وتَنْمِيَتِهِ... هذهِ خَمْسُمِائَةِ دينارٍ سَلِّميها لِلإبْنِ الأكْبَر. وقولي له : هذهِ هديةٌ من والدِكَ لتُنْفِقَهَا كيْفَ شِئْتَ وفي أيِّ وَجْهٍ تَختارُه .

وما أنْ تَسلَّم الابنُ الاكبرُ الخمسَمائةِ دينارٍ حتّى شرَعَ في تَبْذِيرها وإنفاقِها على شَهَوَاتِهِ ومَلَذَّاتِه . وبعد أشهر قليلةٍ رجَعَ الى المنزِلِ صِفْرَ اليَدَيْنِ آسفا حَزِينًا .

ثم طلب التاجرُ الكبيرُ من زوجتِهِ أن تجرِّب الابنَ الأَوْسَطَ ، فأَعطَتْهُ خمسَمِائةِ دينارٍ ، وقالت له مثلما قالت لأخيه الأكبَرِ. ففعلَ بتلك الأموال مثلَما فَعَلَ شَقِيقُهُ الأكبرُ . وعادَ الى المنزلِ يجُرُّ أَذْيَالَ الخَيْبةِ والخُسْرانِ .

وأخيراً طلب الشيخُ أبو بكْرٍ من زوجتِهِ أن تَخْتَبِرَ ٱبْنَهُمَا الأصغَرَ الذِي كَانَ يُسمَّى (المختـــار) وكان المختـارُ شابًّا مهذَّبًا ، عاقِلاً ، حكيمًا . وعندمـا سلَّمته أمُّه الخمسَمِائَةِ دِينارٍ أَخَذَ يبحثُ عن غَرَضٍ صَالِحٍ يُنفِقُ فيه تِلكَ الأَموال . واستمـرَّ هكذا عِدَّةَ أيامٍ في البحث دون أَن يَيْأَسَ من وُجُود مَصْرَفٍ صَالحٍ للخمْسِمِائةِ دينارٍ.

وذاتَ يومٍ - بينما كان (المختارُ) يمشي الْهُوَيْنَا بِالقرْبِ من مقْبَرَةِ الزَّلاَّجِ - سَمِعَ ضَجَّةً كبيرةً وصِيَاحًا عاليًا ، ورأَى جمْعًا غفيرًا من الناس أمام بابِ المقبرَة . فذهَبَ لِيسْتَطْلِعَ الخبرَ ويَتعرَّفَ على سَبَب هذهِ الضوْضَاءِ . وإذا هيَ جَنازةٌ أوقفها أحدُ المُرَابِينَ يُطالبُ الميّتَ بخمسِمَائةِ دِينارٍ دَيْنًا في ذِمَّتِهِ فإمَّا أنْ تُدفَعَ له حَالاً وإلاّ منَعَه من الدَّفْن وحجَزَ جُثَّتَهُ عندَهُ . واحتَارَ الناسُ المجتَمِعُونَ في إِقناعِ هذا المُرَابي بِأنه لَافَائدةَ من حجْزِ جُثَّةِ الميّتِ . وما عليه إلّا أن يقدِّمَ شكْوَاهُ الى القاضِي . وإذا ثبتَتْ دعوَاهُ حجزَ القَاضِي من مَكَاسِبِ الميّتِ ما يَفِي بِقيمَةِ الدَّيْنِ . ولكنَّ المرابِيَ أصرَّ على منْعِ الميِّتِ من الدَّفْنِ إذا هو لم يَسْتَخْلِصْ دَيْنَه الآنَ.

وعندما عَرَفَ (المختارُ) حقيقةَ الأمْرِ قال في نفسه «... إنها فُرصَةٌ حَمِيدةٌ.. فقد لاأَجِدُ أحسنَ منها لِصَرْفِ الخمسمِائةِ دِينارٍ .. » وتقدّم من المُرَابي وقال له :

- اترُكْ سَبِيلَ الميّتِ . وأنا أَدْفَعُ لكَ ما تطلبهُ منْه .

ثم أدخلَ يدَهُ في جَيْبِهِ وسلّم لِلْمُرَابي الخمسَمائةِ دِينارٍ . وبذلك انتهى المشكِلُ.

ودَفَنَ المشَيّعُون الميّتَ في مَقَرِّهِ الأَخِيرِ ، وهم يَلْهَجُونَ بالدُّعَاءِ والشُّكْرِ لِلْمُخْتَارِ على حُسْنِ صَنِيعِهِ .



وعندما رَجَعَ المختارُ الى المنزِلِ أخبرَ أُمَّهُ وأَبَاهُ بذلك ، فَفَرِحَ أبوهُ غَايةَ الفَرَحِ وقال لِزوجَتِهِ :

- هذا وَلدٌ صالحٌ : سوف أُدَرِّبُه على الأَعمال التِّجاريةِ شيئًا فشيْئًا ، وأُسلِّم لهُ فيما بعدُ كلَّ المخازنِ والدَّكاكين ، وأَنا مُطْمَئِنَّ البَالِ ، مُرتاحَ الضميرِ.

بدَأَ التَّاجِرُ الكَبيرُ يُدَرِّبُ وَلَدَه « المختارَ » على أَعمالِ التِّجارةِ ، والتَّعاملِ مع الناسِ ، فأَظْهَرَ (المختارُ) براعةً كبيرةً ، ومهارةً عَجِيبةً في عَمَلِهِ التِّجَارِي. وبعدَ سنَوَاتٍ اشْتَاقَتْ نفسُه الى أداء فَرِيضَةِ « الحَجّ » الى مكّةَ المكَرَّمَةَ. فعرَضَ رَغْبَتَهُ على وَالِدِهِ فوَافَقَهُ أَبُوهُ على ذَلِكَ. ثم قالَ لهُ :

- هذهِ أَوَّلُ مرَّةٍ تُسافِرُ فيها ياوَلَدِي وهْيَ سَفْرَةٌ طَوِيلةٌ وشاقَّةٌ ومَخَاطِرُ الطَّرِيقِ كثيرةٌ. ولهذَا أَشْتَرِطُ عليك شرطاً واحدًا هو أن تَأْتِيَنِي بِمَنْ يُرَافِقُكَ في هذَا السَّفَرِ الطَّويلِ لِيُؤَانِسَكَ ويُعينَك على شُؤونِكَ. وأَعْلَمْ أَنه لابدَّ من أن يكونَ هذَا المُرافقُ محلَّ رِضايَ بعد تجربتهِ وَاختبارِه.

قَبِلَ المختارُ شرْطَ وَالِدِه فبحَثَ عمَّنْ يُرافِقُه في السفر حتّى وجَدَ رجلا مستعدًّا لِذَلِكَ فأَتَى بِهِ الى وَالِده ، فاستبْقَاهُ أَبوهُ عنده ثلاثةَ أَيَّامٍ ، فلَمْ يرْضَ عَنْه ثُمّ أَتى له بِرَجُلٍ آخَرَ فلم يَرْضَ عنه كذلك ، فاحتَارَ المختارُ ماذا يفعلُ . وبينما كان يُفكِّر في أَمرِه إِذْ أَتاه شيخٌ مغْرِبيّ اسمُه عبدُ المحسنِ يبدُو عليه الوقارُ والاتِّزانُ وقال له :

- بلغني « يابُنَيَّ » أنك تبحثُ عن رفيقٍ لكَ في السَّفر الى الحجِّ . فهلْ تقبلُ أَنْ أكونَ رفيقًا لك ؟ لقدِ اشتقْتُ إلى بيتِ اللهِ الحرامِ ولم أَجِدْ مَن يُساعِدُني على ذلك .

قال له المختارُ :

- إن الأمرَ بِيَدِ وَالدِي ، ياسيّدي ، فإذا رَضِي بكَ مرافقًا لِي فأنا أكونُ مسرورًا بِذلك .

وذَهَبَ به الى والده . وبعدَ ثلاثةِ أيّام قال التاجرُ الكبيرُ لِابْنِه :

- يُمكِنُ لك أنْ تتوكّلَ على اللهِ.. لقد اختبرتُ هذا الرجلَ فوجدتُه نِعمَ الرّفيقُ في الطريق . واللهَ أرجُو أن ييسر لكما كلَّ الأمور ، وأن يكونَ حجُّكُما مبرُورًا وعملُكُما مشكُورًا .

كان المختارُ قد هَيَّأَ جميعَ لَوَازِمِهِ عندَمَا كان يبحثُ عَمَّنْ يُرَافِقُه في سَفَرِه . ولِذلك فمَا إن رضي أبوه بالشيخ عبدِ المحْسِنِ حتّى انضمَّ المختارُ ومرافِقُه الى قافلةِ الحجيجِ التي سلكَتْ طريقَ البرِّ ، مارّةً بِلِيبيا ومِصْرَ. ثم عبرَتِ البَحْرَ الأحمرَ إلى الحجازِ ، حتّى وصلتْ مكّةَ المكرّمَةَ بعد أَشْهُرٍ منذُ سَفرِهَا من تُونِسَ .



وبعدَ الانْتِهاءِ من مَنَاسِكِ الحجّ وزيارةِ المدينةِ المنَوَّرَةِ ركِبَ المختارُ ورفِيقُه سفينةً شِراعيةً كبيرةً من مِيناءِ «يَنْبُعَ» على ساحل البحرِ الأحْمَرِ قاصدَيْنِ العوْدة إلى بلادهما. وبعد أن أقلعَتِ السفينةُ أفادهُما رُبَّانُها بأنَّ سفينَتَهُ ستقُوم برِحلةٍ حولَ القارَّة الإفرِيقيةِ، وستدخلُ البحرَ الأبيضَ المتوسطَ من مَضِيقِ جَبَل طارقٍ، فانزعَجَ المختارُ منْ ذلك وخافَ من هذه الرِّحلة الطويلةِ. ولكنَّ مرافِقَه عبدَ المحسنِ شجَّعَه على ذلك، وأقنعَهُ بالفائدةِ الكَبيرةِ التي سَيَجْنِيهَا من هذِهِ الرحلة الممتِعَةِ.

كانتِ السفينةُ تَمْخُر عُبَابَ البحرِ الأحمرِ في هُدوءٍ الى أن وصلتْ مَضِيقَ بَابِ المَنْدَبِ، ودخلتِ المحيطَ الهندِيَّ. ثم سايرتِ الساحلَ الشرقيَّ للقارَّةِ الإفريقية دون أن يشعر رُكَّابُ السفينةِ بأيّ انزعَاجٍ أو قلَقٍ. وذاتَ ليلةٍ ـ عندمَا كانتِ السفينةُ أمامَ ساحلِ الزّنْجبارِ ـ هبَّتْ عاصفةٌ هوجاءُ، ونزلتْ أمطارٌ غزيرةٌ، فأخذتِ الأمواجُ تلعَبُ بِالسفينةِ وتُوَجّهُهَا حيثُ شاءتْ. أمّا الركابُ فقد عمّهمُ الانْزعاجُ والهَلَعُ، وأُصِيبُوا كلُّهُم بِدُوارِ البحْرِ، وتبعثرَتِ الأدْبَاشُ والأَمتعَةُ وأيْقَنَ جميعُ الركابِ بِالهلاكِ والموْتِ. وزادَ مِن خوْفِ الركابِ ظلامٌ كَثِيفٌ أَقْتَمُ حَجَبَ كُلَّ رُؤيةٍ حتّى ضَلَّ رُبّانُ السفينةِ الطريقَ ولم يدْرِ أيْنَ يَتَّجِهُ.

وفَجْأَةً ارتطمَتِ السفينةُ بِقَاعِ البحرِ فصاحَ كلُّ الركّابِ. وسارعَ نُوتِيَّةُ السَّفينةِ

إلى إيقَادِ النّيرَانِ لِيتَبيَّنُوا مَوْقِعَ السفينـةِ ، وإذا بِهِمْ يجدونَهَـا قربَ الشَّاطِيءِ فَهلَّلُوا وكَبَّرُوا فَرحًا وابتهاجًا لِسلاَمَتِهِمْ وحَمِدُوا اللهَ علَى نَجَاتِهِمْ من الغَرَقِ والمَوْتِ .

وعندمَا نزَلَ المختارُ فوقَ الأرْضِ احتضَنَ مُرافِقَه عبدَ المحسِنِ متوسِّلاً إليه ألاَّ يَعُودَ إلى رُكُوبِ البَحْرِ . فَوَافَقَهُ مُرافِقهُ على ذَلك وقَـالَ لهُ :

- سَنَنَامُ هُنا الليلةَ ، وغدًا - إن شاءَ اللهُ - نَتوَغَّـلُ في بلادِ الزّنْجبَارِ عَسَى أنْ نَجِدَ قافلةً تَعْبُرُ صحراءَ إفريقيَا حتَّى نصِلَ بلادَ النّوبةِ أو لِيبيَا ، ومن هُـنَاكَ نُسَافِرُ إلى تُونِسَ .

وفِي الصباحِ البَاكِرِ - قبل أن يُفِيقَ ركَّابُ السفينةِ - تسلَّلَ المختارُ ورفيقُهُ وتوغَّلاَ في بلادِ الزّنجبَارِ . وبعد مَسيرةِ يومٍ كاملٍ وصَلاَ مدينةً كبيرةً عاليةَ الأسوارِ ، شامخةَ البُنيانِ . واندهَشَ المختارُ وصاحبُه عندمَا أبْصَرَا على أبــوابِ السُّورِ رُؤوسًا آدميةً



مقطوعةً ومرصوفةً فوق أعالِي السُّورِ ، فدخَلاَ المدينةَ وهُما في حَيْرةٍ كبيرةٍ من أمرِ هذهِ الرؤوسِ المقْطُوعَةِ. وكانَ المختارُ أَشدَّ حَيْرَةً وأكثرَ خوفًا من صاحبه إلاّ أنّه لَمْ يُظْهِرْ ذلك . وكانت ثقتُهُ في مُـرافِقِهِ عبدِ المحسنِ تُشَجِّعُه وتبعَثُ فِيهِ الطُمأْنينةَ بين حينٍ وآخرَ .

وسأَلَ عبدُ المحسنِ أصحَابَ الدَّكَاكِينِ عنْ سِرِّ تلكَ الرؤُوسِ فكانَ كلُّ واحدٍ منهُمْ يَتَهرَّبُ مِن الإِجَابةِ عن السُّؤَالِ ويُجيبُه عن أثمـانِ مَا يَبيعُه من بِضاعةٍ. فَالبَقّالُ يقولُ : سِعْرُ البَصَلِ بِكَذَا . وسِعرُ الفُولِ بكَذَا . وبائِعُ الحبوبِ يقولُ له : صاعُ القمْحِ بكذا، والشعيرُ بكذا. وتاجرُ القِمَاشِ يقولُ له : الذِّراعُ بِكَذا ، والقامةُ بِكَذا .

جزَمَ عبدُ المُحْسِنِ بأنّ هُنالِكَ سِرًّا يَخْشَى الناسُ من ذِكرهِ والبَوْحَ بِهِ. وأنّ حاكِمَ المدينةِ لابُدَّ أن يكونَ ظَالِماً غَشُومًا ، وأن أيَّ واحدٍ يُفشِي ذلك السرَّ يكون الموتُ مَصِيرَهُ ويُعلَّـقُ رأسُه فوق أسوارِ المدينةِ.

وتعلَّقَتْ إرَادةُ الشَّيْخِ عَبدِ المُحْسِنِ بِمعرفَةِ سرِّ هذا الأمرِ . وعزَمَ علَى الإقَامةِ بِالْمدِينَةِ - ولوْ مُدَّةً طَوِيلَةً - حتّى يكْتَشِفَ السِرَّ فِي ذلك . فاكْتَرَى دارًا جميلةً ، فَخْمَةً تُشرِفُ على السُّوقِ ، وعلى أهمِّ أحياءِ المدِينَةِ . وبَدَأَ يُوَثِّقُ صِلاَتِهِ مع الأَجْوارِ وأصحَابِ المخَازِنِ التِّجَارِيةِ عسَى أن يَجِدَ مِنْ بَيْنِهِمْ واحدًا يَأنَسُ لهُ ويَطْمَئِنُّ إليه . وبعد أيَّامٍ اطمَأَنَّ الى إِسْكَافِيٍّ مُجَاوِرٍ لِمَنْزِلِهِ، فأخذَ يتردَّدُ عليه ويُطِيلُ الجلوسَ عنده . واشترَى منه عدداً كبيرًا من الأَحذِيَةِ والخِفَافِ مُدَّعِياً أنه سيَحْمِلُها هَدَايَا إلى بلاده . وعندما

توثّقتِ الصِّلَةُ بينهما عمَدَ الشيخُ عبدُ المحسِنِ إلى تركِ خمسمِائَةِ دينارٍ في مجلسِه بدُكّانِ الإسكَافِيِّ، فلما عثَرَ عليها الإسْكَافِيُّ التحقَ على عَجَلٍ بِصاحبِه عبْدِ المحسِنِ لِيُسَلِّمَ إليه مَالَهُ. ولكنَّ الشيخَ امتنعَ من تسلُّمِ المَال، وقال له:

«إنه هديةٌ مِنّي إليك جزاءَ أمانَتِكَ وإخلاَصِكَ».

وبعدَ أيّامٍ أُخْرَى تركَ عبدُ المحسِنِ خمسَمِائَةِ دينارٍ ثـانيةً في دُكّان الإسْكَافِيِّ. ومثلَ ما وقعَ في المرَّة الأولى امتنعَ عبدُ المحسنِ من تسلُّمِ المالِ وأعطاهُ هديةً للإسْكَافِيِّ. فازدَادَ تعجُّبُ الإسْكَافِيِّ مِن صُنْعِ هذَا الرَّجُلِ معَهُ وعندما عَادَ إلى منزِلِهِ ذَكَر لِزوجَتِهِ ما حَصَلَ له مَعَ هذا الرجلِ الغَرِيبِ. فقالت لهُ زوجتُه:

« إن صَاحِبَكَ هذا ليس بِأبْلَهَ.. إنه يريدُ مِنك أن تُقَدِّمَ لهُ عملاً، أو تُعِينَهُ على قضاءِ أمرٍ هُوَ في أشَدِّ الحَاجَةِ إليه. والرأي عندي هُو أن تدعوَهُ إلى منزلِنَا وتسْتَضِيفَهُ لِتنَاوُلِ الغَداءِ أو العَشَاءِ معكَ. وربَّما - إذْ ذَاكَ - يُفضِي إليك بِمَا يرجُوه ويبحثُ عنه».

وأُعْجِبَ الإسْكَافِيُّ بِرأْيِ زَوْجَتِهِ، فاستَدْعَى عبدَ المحْسِنِ إلى منزِلِهِ لِيَتَنَاوَل معَهُ الغداء. وبَعْد الانتهاءِ من الأكْلِ تبسَّطَ الإسْكَافِيُّ مَعَ ضَيْفِهِ في الحديثِ، وأظْهَرَ لهُ أنّه مُستعِدٌّ لِمُسَاعدتِهِ في كلِّ أمر يحتاجُ إليه. فشكَرهُ على ذلك. وقال لهُ:

- الذي أريدُه هُوَ أنْ أعرِفَ سِرَّ هذهِ الرُّؤُوسِ المقطوعَةِ والمرصُوفَةِ على سُورِ المدينةِ.

فقالَ له الإسْكَافِيُّ:

- اَلْحَدِيثُ بالأَمانَاتِ، ياسيّدي. هــذِهِ الرُّؤوسُ هِي رؤوسُ الذِين جَاؤُوا يَخطُبُونَ بِنْتَ السُّلْطانِ. لِأَنَّ كلَّ خَاطِبٍ لِهذِهِ البنْتِ كان السلطانُ يشترِطُ عليه شروطًا إذا لمْ يُنَفِّذْهَا يقطعُ رَأْسَهُ وَيُعَلِّقُهُ فوقَ سُور المدينةِ. وإلى حدِّ الآنَ لم يأتِ خاطبٌ استطاعَ تنفيذَ تلكَ الشروطِ. ولمْ يسترِحِ الناسُ من هذهِ المأساةِ، وهذهِ المشاهدِ المزعجةِ التي تبعَثُ الرعــبَ والفزعَ في قلــوبِ السّكانِ كلّ يومٍ.

اكتفَى الشيخُ عبدُ المحسن بهذه المعلوماتِ التي قالها له صديقُه الإسكافيُّ دون أن يُظهِر اهتمَامًا كبيرًا بِمعرفةِ هذا السرّ. ثم وَدَّع مضيِّفَهُ شاكرًا، ورجع الى منزلِهِ.

كان المختارُ ينتظر الشيخَ عبدَ المحسِنِ في المنزل على أحَرَّ منَ الجمرِ، فقد شغلَتْ بالَه تلك الرؤوسُ المقطُوعةُ كما شغلتْ بالَ مرافقهِ. وعاد الشيخُ عبدُ المحسنِ باسمًا مستبْشِرًا. وقال للمختارِ:

- لقد عرفتُ سرَّ الرؤوسِ المقطوعةِ.

- ألاَ تُخبرُني ما هُو هذا السرُّ.

- تلكَ الرؤوسُ هي رؤوسُ الذين جاؤُوا يخطُبُون بنتَ السُّلطانِ ولمْ يُنَفِّذُوا

الشروطَ ... ولكنِ اسمعْ، يامختارُ، إنك ستخطُبُ بنتَ السلطانِ. وسأذهب أنا غدًا الى قصرِه لأخطبَ لكَ تلكَ البنتَ.

ارتعدتْ فرائصُ المختارِ. وقال خائفًا:

- وكيفَ يكونُ ذلك، ياسيِّدِي! هل ستدفَعُ بِي الى الموتِ؟

فقالَ له الشيخُ:

- لايَهُمُّكَ شيْءٌ.. لاتخَفْ ولا تَنْزَعِجْ. فَمَا عليكَ إلاَّ أن تُنَفِّذَ ماأُوصِيكَ بِهِ، وسَتَرَى النَّتِيجَةَ فِيمَا بعْدُ.

وفِي صباحِ الغْدِ لَبِسَ الشيخُ عبدُ المحسنِ أفخَرَ أثوابِه وأجملَها، وتعطَّرَ بأشذَى العُطُوراتِ ثُم توجَّهَ إلى قصْرِ السُّلطانِ يطلبُ مُقابَلَتَهُ. وعندمَا وصَلَ الشيخُ عبدُ المحسنِ الى القصْرِ وجدَ السلطانَ جَالِسًا للحُكْمِ في بعْضِ القضَايَا، يُحِيطُ بِهِ كبارُ القُضَاةِ والأعيانِ، والوُزَرَاءِ، وبعدَ أن حَيَّا السلطانَ، وقبَّلَ الأرضَ بين يدَيْه، قال يخاطِبُهُ:

- جِئْتُكُمْ - يامَوْلاَيَ السُّلطان - خاطِبًا راغبًا في بنتِ الحَسَبِ والنَّسَبِ

- فقالَ لهُ كبيرُ القُضَاةِ:

ياشيخُ. ياشيخُ.. إذا كانت لك مظلمةٌ فنحنُ نُنْصِفُكَ، ونُعطِيكَ حقَّكَ... لكنَّ عبدَ المحسنِ لم يَلتفِتْ الى القَاضِي. وأعادَ قولَه الأوَّلَ:

- جِئتُكُم - يامَوْلاَيَ السلطان - خاطبًا رَاغِبًا في بنت الحسَبِ والنَّسَبِ. أنا ما جِئتُ شَاكِيًا.. فقال له كبيرُ الوُزراءِ:

ـ لعلَّكَ شاكٌّ في أمرِكَ ، ياشيخ...

فقال عبدُ المحسِنِ :

ـ لستُ شاكًّا ولا مرتابًا .. وها أنذَا أُكَرِّرُ ما قُلْتُهُ سابقًا. أتيتُ أخطُبُ بِنْتَ الحَسَبِ والنَّسَبِ ، بنتَ مولايَ السلطانِ لابْنِي المختارِ .

ـ هل عرفتَ سرَّ تلكَ الرُّؤوسِ المقطوعةِ.

قال الشيخ عبد المحسن :

ـ نَعَمْ ـ يامولايَ ـ عرفتُ السرَّ . وأنا مستعدٌّ لِتَنْفِيذِ كلِّ الشُّروطِ المطلوبةِ، ومُستعِدٌّ لقبولِ كلّ عُقُوبةٍ تُسَلَّطُ عليَّ إذا أخْلَلْتُ بِشَرْطٍ من تلكَ الشُّرُوطِ .

فالتفتَ السلطانُ إلى القُضاةِ . وقال لهُمْ :

ـ اكْتبُوا ذلك عليه .. الشرطُ الأَوّلُ أنْ ترضَى ابنتِي بهذا الزوْجِ ، وأنْ يُقدِّمَ ذلك الزوجُ برهانًا قاطعًا على ذلك الرِّضَا . وبعد ذلك تأتِي الشروطُ الأُخْرَى .

قال الشيخُ عبدُ المحسِنِ :

ـ سمْعًا وطاعةً ، مولاَيَ السلطانَ . متَى يأمُرُ مولاَيَ بتنفيذِ ذلك.

فأجابهُ السلطانُ متضايقًا .

ـ سننظرُ في الأمْرِ ونعلِمُك بذلك .

عادَ الشيخُ عبدُ المحسِنِ إلى منزِلِهِ بعد مقابلةِ السُّلطانِ . وأعلَمَ المختارَ بكُلِّ ما حصَلَ ، ثمّ قال لهُ :

اعلمْ يابُنَيَّ أنّ هذه البنتَ لنْ ترضَى بأيِّ خاطِبٍ يتقدَّم إليها. لقد عَوَّدَهَا أبُوهَا على هذِهِ العادةِ السّيِّئَةِ، فأصبَحَتْ تحِبُّ سفْكَ الدِّمَاءِ، وقتْلَ الأَبْريَــاءِ والطَامِعينَ. وحَسبَتْ أنّ ذلك يزيدُ من مَقَامِهَا، وذُيُوعِ جَمالِهَا، وانْتِشارِ خَبَرِهَــا. لِهذَا فإنّني سَأَكْتُبُ فوقَ جَبِينِكَ سطْرَيْنِ من التعَاوِيذِ والسِّحْرِ. وستذهبُ إلى قصْرِ السُّلطَانِ. وعليكَ أن تُلازِمَ ابنَتَهُ، وامشِ معهَا الى كلِّ مكانٍ.. إنها ستَرَاكَ في كلّ لحظةٍ... ستراكَ هِيَ وحدَها. ولنْ يراكَ أحدٌ سِوَاها ... ابْتَسِمْ لهَا دائِمًا، ولا يعْنِيكَ من أمرِهَا وَأمرِ سُكَّانِ القصرِ شيءٌ.

وفي صَباحِ اليومِ التَّالِي ذهبَ «المختــارُ» الى قصْرِ السُّلطانِ ـ بعدَ أن كتبَ الشيخُ عبدُ المحسِنِ سَطْرَيْنِ منَ التَّعَاوِيذِ على جَبِينِهِ ـ واجتازَ الأبوابَ كلَّهَا دونَ أن يراهُ أَحَدٌ منَ الحــرَّاسِ، وانتقلَ من رَدْهَةٍ الى رَدْهةٍ، ومِن بَهْوٍ إلى بَهْوٍ حتّى وصلَ الجناحَ الخاصَّ ببنتِ السلطانِ فوجدَها مُحَاطةً بِجَمْعٍ كبيرٍ من الجوَارِي والخَدَمِ.

واندهشَتِ ابنةُ السلطانِ لِدخولِ هذَا الشابِّ الغريبِ إلى جناحِها الخاصِّ بدُونِ علمٍ منها ولا استِئْذانٍ، فَسَأَلَتِ الجوارِيَ عمَّنْ يكونُ هذا الشابُّ الغريبُ. فالْتَفَتْنَ كلُّهُنَّ إلى حيث أشارتْ فلمْ يرَيْنَ أحدًا، فَتَعَجَّبْنَ وحَسِبْنَ أنّ سَيِّدَتَهُنَّ تمزَحُ معهُنَّ ولكنَّهَا أعادتِ السؤالَ في انفعالٍ كَبيــرٍ، فنظرَتِ الجوارِي بعضُهُنَّ الى بعْضٍ، وتغامَزْنَ بعيُونِهِنَّ، واعتَقَدْنَ أنَّ بنتَ السُّلطانِ أصابَهَا الخَبالُ والجُنُونُ.



كانتِ الأميرةُ تقولُ لهُنَّ : انظُرْنَ... إنّهُ يبتسِمُ... هَاهُوَ ينتقِلُ إلى الرُّكْن الأَيْسَرِ من الغُرْفَةِ. لقدْ جلَسَ على الطَّنْفَسَةِ... لقدْ حَيَّانِي بيدِهِ... إنه شابٌّ جميلٌ... إنَّ سَحَنَاتِ وجهِهِ غريبةٌ عنَّا. إنّه ليس من بلاَدِنا .. ؟

وكانتِ الأميـرةُ تُكَلِّمُهُنَّ بحركاتِ عَيْنَيْهَا ويدَيْها والتِفاتَاتِ وجْهِهَا. وكانتِ الجوارِي يَتْبَعْنَ كلَّ حركةٍ من حركاتِ الأميـرةِ دُون أن يرَيْنَ شيْئًا ممَّا تقولُه وتُشيرُ إليه.

وجاءتْ رئيسةُ الطبَّاخِينَ تُعْلِمُ الأَميـرةَ بوقْتِ الإفْطَارِ، فقامتْ بنتُ السُّلطَانِ،

تَتْبَعُهَا الجوارِي الى قاعَةِ الأَكْلِ. وجلسَتِ الأميـرةُ على المـائِدَةِ كالشَّارِدةَ المعتُوهَةِ. ومَا إِنْ شرعتْ في الأَكْلِ حتَّى رأتِ الشَّابَّ يجلِسُ قُبَالَتَهَا حولَ المائِدةِ فصاحتْ في الجوارِي ... انظُرْنَ .. افتَحْنَ عيونَكُنَّ .. إنَّه جَلَس على المائِدَةِ... إنه يُشيرُ اليَّ بِأَنْ أَسْكُتَ .. مَالكُنَّ أيَّتُهَا الملعوناتُ هلْ أَصابكُنَّ العمَى... لاَ... لاَ.. لا أستَطِيعُ...»

وانطلقَتْ مَذْعُورَةً فَارَّةً الى غُرْفَةِ نَوْمِهَا ، وإِذَا بِهَا تَجِدُ الشَّابَ الوَسِيمَ جالسًا فوقَ السَّريرِ، وهْوَيبْتَسِمُ لهَا ويَمُدُّ لَهَا ذِرَاعَيْهِ كَأَنَّهُ يريدُ احتِضَانَهَا فخرجَتْ من الغُرْفَةِ مُوَلْوِلَةً خائفةً، وهي تَصِيحُ وتُنَادي أُمَّهَا.

وعندَما أَقبلَتْ عليها أُمُّهَا قصَّتْ عليها ما تَراهُ مِنْ هذَا الشَّابِّ الوَسيمِ الذي يُلاَحِقُها حَيْثُمَا كانت . ثمَّ أَشارتْ إليه وهي تقولُ :

«انظُرِي .. انظُرِي ياأُمَّاه .. إنّه واقفٌ هناكَ ويُشِيرُ إليَّ بأن أصْمُتَ».

ونظرتْ أمُّهَا إلى حيثُ أشارتِ ابنَتُهَا فلمْ تَر شيئًا . فلَطَمَتْ خدُودَهَا ، وصرَخَتْ باكِيَةً على ما أصِيبَتْ بِه ابنَتُها من جُنونٍ. وأسرعَتْ إلى السلطانِ تُخبرُه بِما حصَلَ، فارتاعَ السُّلطانُ لِلْخَبَرِ. وأعطَى أَوَامِرَهُ بِتَفْتِيشِ القصْرِ تفتيشًا دَقِيقًا قطْعًا لكلِّ شَكٍّ في أمرِ ابنَتِهِ واندفَعَ حُــرَّاسُ القَصْرِ يبحثُونَ ويفتِّشُونَ فلمْ يعثُرُوا على شَيْءٍ وجاءَ جميعُ الأَطِبَّاءِ يَفحصُونَ الأَميرةَ وكانَ رأيُهم كلُّهم أن الأميرةَ سَلِيمةُ العقْلِ والنَّظرِ. وأن ما تُخبرُ بِه الأَميرةُ هو فوقَ عِلْمِهم ومعْرِفَتِهِم.

شاعَ خبرُ الأميرةِ في كافّة أنحاءِ المدينةِ وتهامَسَ جميعُ السُّكانِ بجنُونِها، وكثُرتِ النوادرُ والشائعاتُ حولَها، وعن هذا الفتى المحجوبِ الغريبِ.

وكادَ السلطانُ ييْأسُ من شِفَاءِ ابْنَتِهِ ويسلّمُ أمرَهُ لِلَّهِ بعْدَ أنِ استعملَ كلَّ مَا في وُسْعِهِ لإنقاذ ابنتِه ممَّا أصابهَا. وقرَّر السلطانُ أن يعزِلَ ابْنَتَهُ في مكانٍ خاصٍّ إلَى أن يفعلَ اللهُ بِها مَا يَشاءُ.

ولكنْ صادفَ أنْ كان أحدُ مُستشارِي السُّلطَانِ غائبًا عنِ المدينَةِ، فلمَّا قدِم وسمِعَ بِقِصَّةِ الأميرَةِ أشارَ علَى السُّلطَانِ باستدعاءِ عرَّافٍ اشتَهرَ بتَطْبيبِ المجَانِينِ وإبْطالِ مفعولِ السَّحَرَةِ والمشَعْوذِينَ. فبعثَ السلطانُ يستدعِي هذا العرَّافَ من قريَةٍ نَائِيَةٍ. وجاءَ العرَّافُ على جناحِ السُّرعة، وأخذَ يستفسِرُ عن كلِّ ما حدَثَ للأميرةِ، وما قَالهُ الأطِبَّاءُ عنها. وقبل أن يقابِل الأميرةَ طلبَ منَ السلطانِ وحاشِيَتِهِ ألاَّ يُخبِرُوهَا بِقدُومِهِ. كما أعلمهُم أنّهُ سيَتنَكَّرُ في لِباسِ حُرَّاسِ القصرِ حتّى يتمكَّنَ منْ مشاهدَةِ الأمِيرَةِ عن قُرْبٍ، ويُمكن لهُ معرفةُ مَرَضِهَا.

بَقِيَ العرَّافُ يُرَاقِبُ الأمِيرَةَ أسبوعًا كاملاً حتّى تأكَّدَ أن مَا تراهُ الأميرةُ حقيقةٌ لا شكَّ فيها. وأن هذا الشابَّ الوسيمَ الذي تتحدَّثُ عنه الأميرةُ هو رجلٌ محجوبٌ عن بقيةِ أنظارِ النَّاسِ بمفعولِ السِّحرِ. وبعدَ تفكِيرٍ طويلٍ طَلَبَ العرَّافُ أن يتركُوهُ في غُرفةٍ صَغيرةٍ مع الفَتَاةِ، وأن يُغْلِقُوا عليهِما البابَ. كما طلبَ أن يُوقِدُوا كانونًا في الغُرفةِ قبلَ أنْ تَدْخُلَهَا الفتاةُ. وعندما اختلى العرَّافُ بالفَتاةِ في الغُرْفةِ الصَّغيرَةِ



استمرَّتِ الأميرةُ تُشيرُ الى الفتَى المحجوبِ وتتَحدَّثُ عنه . وبذلك أيْقَنَ العرَّافُ أنَّ الشَّابَّ موجودٌ في الغرفةِ . فأغلق البابَ وأخرجَ من جَيْبِه حَفْنَةً من البَخُورِ وألْقَى بها في الكَانُونِ الملْتَهِبِ نَارًا . وشرَعَ العرَّافُ يقرأ التَّعَاوِيذَ ويتمتم بِطَلاَسِمَ غريبةٍ .

بدَأَ جوُّ الغُرفةِ يسخُنُ شيئًا فشيئًا حتى أصبحت الغرفةُ كأَنهاَ حمامٌ شديدُ الحرارةِ . وأخذَ العرَقُ ينْزِلُ بغزَارَةٍ من جسم العرَّافِ وبنْتِ السلطان . أما الشابُّ المحجوبُ فأخذَ هُو بدَوْرِهِ يتصبَّبُ عرَقـًا إلى أَنْ مُحِيَتْ الكِتَابَةُ السِّحْرِيَّـةُ التِي فوقَ جَبينِهِ فظهرَ للعِيَانِ كَبَقِيَّةِ النَّاسِ . وتظَاهَرَ العرَّافُ بأَنَّهُ لم يَرَ شيئًا . وطرَقَ بـابَ الغُرفة لِيفتَحَه الحراسُ من الخَارِجِ . وكانَ السلطانُ واقِفًا قريبًا منَ البابِ . وعندمَا فتحَ الحرَّاسُ

بابَ الغُرفةِ خرجَ العَرّافُ واتّجهَ الى السُّلطانِ وقبَّلَ الأرضَ بيْن يدَيْه قائلاً :

انكشفَ السرُّ يا موْلاَيَ . فليدخُلْ حُراسُك وليَقْبِضُوا على هذا الشابِّ الغريبِ الذي كانَ لا يرَاهُ أحدٌ غيرُ ابنتِكم الأميرةِ .

فَرِحَ السلطانُ وابتهجَ . وتعالَتْ زغاريدُ النِّسَاءِ في رَدَهاتِ القصْرِ . وأمرَ السلطانُ بإقامة معالمِ الزِّينَةِ والأفرَاحِ في كافّةِ أحيَاءِ المدينَةِ وشوَارِعِها .

ثم التفتَ السلطانُ الى وزيرِهِ الأكبَرِ وأمرَهُ قائلاً :

- قبْلَ أن يُقطع رأسُ هذا الشَّابِّ يجِبُ أن يُوثَقَ على ظَهْرِ بَعِيرٍ أجْرَبَ ، وأنْ يُطَافَ به في شـــوارِعِ المدينةِ تنْكِيلاً به ، وإنذارًا لكلِّ مَن تُحدِّثُه نفسُه بمثلِ تِلكَ الأفعالِ .

ثم كلَّفَ السلطانُ اثْنَيْنِ من قُساةِ الجلاّدين بضَرْبِ الفتَى بالسِّيَاطِ أمام كلِّ الناس .

وبينما كان الشيخُ عبدُ المحْسِنِ يحْلِقُ رأْسَهُ في أحدِ الدّكاكين إذا به يسمَـــعُ ضجَّةً عَاليةً فِي الشَّارِعِ فطلبَ من الحلاَّقِ أنْ يستَطْلِعَ الخبَرَ . وما لَبِثَ أن عَادَ الحلاَّقُ وأخبرَ الشيخَ عبدَ المحْسِنِ بأنَّ الشابَّ الذي كانَ يُضَايِقُ بنتَ السُّلطَانِ وقَعَ اكتشافُهُ وهْو الآنَ مقيَّدٌ على ظهر بَعِيرٍ أجرَبَ والجَلاَّدُون يضربونَه بالسِّياطِ ، وهو يصرَخُ من شِدَّةِ الألَمِ ولاَ أَحدٌ يقْدِرُ على نَجْدَتِهِ . وتظاهَرَ الشيخُ بأنَّه يريدُ الاطِّلاَعَ على هذا المنْظَرِ قبلَ أن يفُوتَه ، ووقَف أمامَ بابِ الدُّكانِ واضعًا منْديلاً على فمِه وأخذ يُتَمْتِمُ بالطَّلاَسِم



والتَّعَاوِيذِ دُون أن يَتفطَّنَ الحَلاَّقُ الَّذي كانَ مأخُوذًا بِمنْظَرِ الفَتَى والجماهيرِ المحتَشِدَةِ حوْلَه . ثم عادَ الشيخُ ونادَى الحلاَّقَ لِيُتَمِّمَ لهُ حلْقَ ذَقنِهِ مُظْهِرًا قِلَّةَ اهْتِمَامِهِ بما رَأَى. ولكنَّ الحَلاَّقَ صاحَ مَنْدَهِشًا ودخلَ يجْرِي قائِلاً :

- اختفَى... واللهِ اختَفَى... بَقِي الجَمَلُ وحدَهُ، لاَ شيْءَ فوْقَهُ.. أيُّ شيْءٍ هذَا... ما معنى هَذَا .. شيْءٌ يُجَنِّنُ واللهِ.

وأظهر عبدُ المحسِن دهْشَتَهُ طالِبًا من الحلاَّقِ أن يُسْرِعَ بإنهاءِ حِلاَقته حتّى يعودَ

الى منزلِهِ. وبعد الانْتِهاءِ من الحِلاَقةِ عادَ الشيخُ الى المنزلِ حيثُ كان (المختـارُ) فِي انتظارِهِ. فقصَّ عليْه كيفَ وقع اكتشافُه وما فعَلَه العرَّافُ معَهُ.

فقال الشيخُ عبد المحْسِنِ :

- يجب أن نُغَيّرَ الخُطَّةَ .. لا فائدةَ من ذَهابِكَ أنت إلى بنْتِ السلطان . وإنّما هي التي سوْفَ تَأتِيكَ إلى منزِلِكَ كلّ لَيْلَةٍ.

اطمأنَّتِ الأَمِيرَةُ بعضَ الاطْمِئنَانِ إلى اكتشافِ أَمْرِ هذا الفَتَى من طَرَفِ العَرَّافِ. ولمْ يُخْبِرْها أهلُها باخْتِفَائِهِ منْ جديدٍ حتّى لاتخافَ. من عوْدَتِهِ. ولكنَّهَا كانتْ فِي نفسِ الوقْتِ مُعجبَــةً بِهذا الفتَى الذِي كانتْ تراهُ ولا يرَاهُ غيرُها . وكانتْ مفتُونَةً بِجمَالِهِ، مأخوذةً بِحلاَوةِ ابتسَامَتِهِ، ورشَاقَةِ حركَاتِهِ ولكنَّهَا لم تَجْسَرْ علَى إعلاَمِ أحَدٍ بما تُكِنُّهُ لِهذَا الفَتَى مِن محَبّةٍ وإعجابٍ بل أحسَّتْ بشوقٍ كبيرٍ الى رُؤْيَتِهِ، والاسْتِئْنَاسِ بإشارَاتِهِ وابتسَامَاتِهِ. وبقِيَتْ بقيةَ يوْمِهَا شاردةَ الذِّهْنِ، مُضطربةَ الفِكْرِ.

وفِي اللَّيْلِ عندمَا حَانَ وقتُ نَوْمِها دخلَتْ غرفتهَا مَهْمُومَةً حزِينةً. ومَا إنْ دخَلَتْ بابَ الغُرْفَةِ حتَّى وجدتْ نَفْسَهَا في غُرْفَةٍ أُخرَى، وفِي منزِلٍ غريبٍ عنْها ، ووجدَتِ الشابَّ المحجوبَ واقفًا أمامهَا . فجَحَظَتْ عينَاهَا وارتعدَتْ فرائِصُهـا ، وتقهقرَتْ إلى الورَاء. لكنَّ (المختارَ) ابتسمَ لها، وطَمْأَنَهَا. وقالَ لَها : لاَ تَخَافِي ، ياعَزِيزَتِي، ثمَّ قَادَها الى قَاعةٍ فسيحةِ الأرْجَـاءِ، فاخرةِ الأَثاثِ ، وقدَّم إليها الشيخَ عبدَ المحسِنِ على

أنه والدُهُ، فاطْمَأَنَّتِ الاميـرةُ لوجُودِ هذَا الشيخِ معهُمَا . وبعدَ العَشاء والسَّمَر ذهبتِ الأَمِيرةُ الى غرفةِ نومٍ خاصَّةٍ بها . وعندما استيقظتْ في الصَّباحِ الباكرِ وجدَتْ نفسَها في حُجرةِ نوْمِها بقصْرِ أبيهَا ، فاستغربَتْ الأَمْرَ ، وأَسَرَّتْهُ في نَفْسِهَا مخافةَ أنْ تُوصَفَ بِالجنُون مرَّةً أُخْرَى.

وتكرَّرَتْ زياراتُ بنتِ السُّلطانِ للفَتَى المحجُوبِ فِي بيتِهِ. وخافتِ الأميرةُ أنْ يَكتشِفَ أَمرَها، وينتَقِمَ منها أبُوها فعزمَتْ على إِعلامِ وَالدِها بِكُلِّ ما حدَثَ لهـا. ولم يستغربِ السلطانُ ما حصَل لابْنَتِهِ بعد أن اختَفَى ذلك الفَتَى من فوْقِ ظهْرِ البَعير الأجرَبِ لِهذَا طلبَ من ابنته أن تَتَشَجَّعَ وأن تُـواظِبَ على تلك الزِّيَارَاتِ حتى يتمَكَّنُوا من معرفةِ منزِلِهِ والقَبْضِ عليه . وبعد يَوْمين من التفْكيـر طلبَ السلطانُ من ابنتِه أن تَتحايَلَ حتّى تضَعَ علامةَ «قاطع ومقطوع» على البَـابِ الخَارِجي للمنزِلِ الذِي يُوجَد بِه الفَتَى المحجُوبِ ووالدِهِ.

وفي إِحدَى اللَّيالي تظاهَرَتْ بنتُ السُّلطَانِ بِأَنَّها سَتَنامُ قبْل الوقْتِ المعتَـادِ لأَنَّهَا تشعُرُ بِصُدَاعٍ خَفِيفٍ، فذهبَتْ إِلى غُرفَتِهـا وأغلقَتِ البَابَ وبقِيَتْ ساهرةً الى أَن تأكَّدَتْ من نَوْمِ الفَتَى ووَالِدِه وعنْدَ ذلك نهضَتْ وفَتَحَتْ بَابَ الغُرْفَةِ بِحَذَرٍ كَبيرٍ وتسلَّلَتْ الى بابِ المَنْزِلِ ففتَحَتْه ثمّ رسمَتْ بالمُغْـرَةِ علامةَ «قاطع ومقطوع» على دَفَّة البـاب وعَادَتْ إلى فِرَاشِها ونامَتْ كأَنَّهَا لمْ تفْعَل شيْئًا.

وعندَ أَذانِ الفَجْرِ اسْتَيْقَظَ الشيخُ عبدُ المحسِنِ فتوضَّأَ وخرَجَ لِيُؤَدِّي صلاةَ الصُّبْحِ جماعَةً. وعند عَوْدَتِهِ الى المنزِلِ تفطَّنَ إلى وُجودِ علامةِ «قاطع ومقطوع» مرسومةٍ على دَفَّةِ البابِ ، فعرَفَ أنّ وراءَ هذهِ العلامَةِ سِرًّا ، فتمْتَمَ بكَلِمَاتِهِ وتعاوِيذِه السحريةِ وإذا كُلُّ أَبْوَابِ منَازِلِ المدِينَةِ مرسومةٌ بِتِلْكِ العَلامَةِ ، حتّى قصْرِ السُّلطَانِ كانتْ كلُّ أبوابِهِ عليها علامةُ «قاطع ومقطوع» وبِذَلِك التبسَ الأمْرُ على حُرَّاسِ السُّلطانِ وجنودِهِ وازْدَادَتْ حَيْرَةُ السلطانِ بسَبَبِ ذلك وأَمَرَ حرَّاسَه بالكَفّ عن تفتيشِ المنازل . وأيْقنَ السلطانُ بأنّ قوةً رهيبةً لايستطِيعُ مقاوَمَتها هي التي فعَلَتْ ذلك . وبدأ يشعُرُ بنوعٍ من الاسْتِسْلَامِ بعدَ أن استبدَّتْ بِهِ الحيْرَةُ وكادَتْ تُوصِلُه الى الجُنُونِ . وأخَذَ السلطانُ يجْمَعُ كلَّ يومٍ مُسْتشارِيهِ ورجالَ حَاشِيَتِه للبحْثِ عنِ الطُّرُقِ التِي تُمكّنُهُم منْ هَذا الفتَى الغرِيبِ الذي عَجَزَ عن التغلُّبِ عليْهِ والانتقامِ منه .

أَمَّا بنتُ السُّلطانِ فإنها كانت تجِدُ نفسَها كلّ ليْلَةٍ في بيْتِ ذلِك الفَتَى المحجوبِ تسْهَرُ معه وتتعشَّى وتجدُ نفسها في صباح الغدِ في فِراشِها بقصرِ السلطان والدِها رغْمَ كلّ الوسائل التي استعمَلوهَا لِمنْعِهَا من ذلك .

كان الشيخُ عبدُ المحسِنِ بعد أن اشترَى الدارَ الجميلةَ لسُكناهُ اشترَى كذلك منزِلا خرِبًا في وسَطِ المدِينة . واستأجَر له مئاتِ العُمَّال فهدمُوهُ عن آخِره ، وبنَوْا على أنقاضِهِ حَمَّامًا فخْمًا ، جهَّزَه الشيخُ عبدُ المحسِنِ بأفخَرِ الأَثَاثِ وأثمَنِ المفرُوشَاتِ،

وأعزّ التُّحَفِ وجَلَبَ له مهـرَةَ الدَّلاَّكِين ، وأحسنَ المزيِّنينَ ، وأوْكَلَ إدَارَته وتسيير شؤونِهِ الى «المخْتـارِ» وشاعَ خبرُ الحَمَّامِ في كافَّة أنحـاءِ المدِينةِ ، وتحدّث عنه كلُّ الناسِ حتّى بلغَ خبرُه الى السلطانِ فتعَلَّقَتْ هِمَّتُه بزيارتِهِ والاطّلاعِ عليه ، وأمرَ كَبيرَ وُزَرَائِهِ بالذهابِ الى هَذَا الحمّامِ حتّى يُخبِرَهُ بِما يشاهِدُهُ فِيه. وهل أن مَا يتحدَّثُ به الناسُ هو حقيقةٌ واقعةٌ أمْ هِيَ مُبَالغاتٌ وتهْويلاَتٌ.

وعندَمَا سمِع الشيخُ عبدُ المحسِن بِأنّ وزيرَ السلطانِ سيزورُ الحمّامَ يومَ الخميس تهيّأ لهذه الزيـارةِ واستعدّ لها كلَّ الاستعـدادِ ، وأخْلَى الحَمَّامَ مِنْ جميعِ الزُّوَّارِ حتَّى لايَتضَايَقَ الوزيرُ منهُمْ وحتّى يَتفرّغَ جميعُ العُمَّالِ لِخدْمتِهِ والاعْتِنَاءِ به.

وفي يومِ الخميسِ المعيَّنِ جَـاءَ كبيـرُ وُزرَاء السلطان لزيـارةِ الحمّــام ، فاندهَشَ لما شَاهَدَهُ من رَوْعةِ الحمّامِ ونَظَافتِهِ، وحُسْنِ ترْتِيبِهِ، وجمالِ تَأثيثِهِ. ونالَ الوزيرُ من أنواع التدليك وأصنَافِ التمْسِيــدِ مالم يعرفه طُولَ حيـاتِهِ. وكانت غُرَفُ الحمّام ورَدَهاتُهُ ومَمرَّاتُه تفوحُ بالعِطْرِ الشذِيّ ، وتزدانُ بالمنَـاظِر الخلاَّبةِ والصّوَرِ البَدِيعـةِ. وكانتِ الأبْخِرةُ المتصَاعِدةُ الى السقـوفِ والجُدْرانِ تتحوّل الى قطرَاتٍ من ماءٍ شذِيَّةِ الرَّائحةِ، فوَّاحَةِ العبيرِ. وكانَ حوضُ الاسْتِحْمامِ من المرْمَرِ الناصِعِ البيَاضِ يترقْرَقُ فيه الماءُ الساخِنُ كأنَّهُ ينصبُّ من جدْوَلٍ صافٍ رَقْرَاقٍ.

وعندَما غطَسَ الوزيرُ في هذا الحَوْضِ شعر براحةٍ لا تُوصفُ ، وأحَسَّ بنشَاطٍ يَدِبُّ في كافة أجزاءِ بَدَنِهِ كأنَّه لم يعرفْ تَعبًا أوْ مَرَضًا طولَ حَيَاتِهِ.

وبعدَما انتهى الوزيرُ من الاسْتِحْـمَامِ انتقلَ الى غُرْفَةٍ فخمَةٍ مُريحةٍ لِيَسْتَرِيحَ ، ويُنَشِّفَ عرَقَهُ ويَرْتَدِي مَلاَبِسَهُ.

وبعدَ الاسْتِراحَةِ استعدَّ الوَزِيرُ للخُرُوجِ ومغادرةِ الحمَّامِ . وقدَّمَ للمُخْتَارِ كِيسًا مَمْلُوءًا بالمالِ أُجرَةَ اغْتِسَالِهِ واسْتِحْمَامِهِ . ولكنَّ «المختـارَ» امتنَعَ من تسلُّمِ الكِيسِ، واعتذَرَ بِلبَاقةٍ وأَدَبٍ . وقال لِوَزِيرِ السُّلطان :

- إنَّ أعظم أَجْرٍ تقدِّمُونَه إليَّ هو أن تَسْمَحُوا - يا سيِّدي الوزيرَ - بِأَنْ يقْتَبِلكُم وَالِدِي المشتاقُ إلى رُؤْيَتِكم ولِقَائِكم.

قَبِلَ وزيرُ السّلطانِ ما عرَضَهُ عليه «المختارُ» فاصْطَحبَهُ معَهُ الى أفرانِ الحَمّـامِ التّي يُشْرِفَ على سَيْرِهَا الشيخُ عبدُ المحسِنِ ، ولم تكُنْ هذِهِ الأَفْرَانُ أقلَّ بهاءً وجمالاً من الحمّام نفسِهِ ، بل كانتْ لاَتقِلُّ في رَوْعَتِهَا وجمالِها عمّا كان عليهِ قصرُ السُّلطانِ نفسه.

كان الشيخُ عبدُ المحسِنِ في مدْخَلِ أفرانِ الحَمَّامِ ينتظرُ قُدومَ الوَزِيرِ . ومَـا إنْ وَصَل الوزيرُ الى مَدْخَل الأفْرانِ حتّى اقتبَلهُ الشيخُ عبدُ المحسِنِ بِغايةِ اللُّطْفِ والبَشَاشةِ وقادَهُ الى غُرفةٍ فسيحةٍ تَبْهَرُ الأنْظارَ بِحُسنِها وجَمَالِها ، وروعةِ تأْثِيثِها . فجلسَ الوزيرُ على أَرِيكةٍ ذاتِ صُنعٍ بَديعٍ وزُخْرُفٍ جَميلٍ . وبعدَ ذلك ناوَلهُ الشيخُ عبدُ المحسِنِ كأسًا من عصيرِ الليمُونِ لم يذُقْ طعْمَهُ اللذيذَ طولَ حَيَاتِهِ . وممّا زاد من تعجّبِ الوزيرِ أنّه عرَف أن صاحِبَ الحمَّامِ هُوَ ذلك الشيخُ الذِي جاءَ ذاتَ يومٍ يخطُبُ بنتَ السّلطان لابْنِهِ.

فأسرَّ الوزيرُ الأَمرَ في نفسِهِ حتّى يُخبِرَ السلطانَ بذلك.

وَمَا إنِ انتَهى الوَزيرُ من احْتِساءِ كأْسِ اللَّيْمونِ حتّى أحَسَّ بِرَغبةٍ شديدةٍ في النوْمِ، فتمدَّدَ على الأرِيكَةِ الفَاخِرَةِ ووجدَ نفسَهُ فِي بَادِيَةٍ وَاسعَةٍ يرْعَى غنَمًا هَزيلةً، وهو حَاسِرُ الرَّأسِ، حَافِيَ القَدَمَيْن، يستُرُ بدنَهُ بثيابٍ رثّةٍ مُمَزَّقةٍ، ويشكُو من جُوعٍ شديدٍ وتعبٍ كبيرٍ. وخُيِّلَ الى الوزير أنّه بقِيَ على حَالتِهِ تلك راعيًا للغنمِ ثلاثَ سنواتٍ أو أكثرَ دونَ أن يعودَ إلى زَوْجَتِهِ وأطفَالِهِ منْذُ أنْ غادَرهُم وتركَهُمْ في فقرٍ مُدْقِعٍ. وبعدَ هذهِ المِحنَةِ القاسِيَةِ عادَ الــراعِي المنكوبُ الحظِّ إلى كُوخِهِ فَاستقبلَتْه زوجتُهُ بِالسِّبَابِ والضَّرْبِ لأنّهُ هَجرَها طولَ تلك المُدَّةِ، وترَكَها مع أطْفَالِها فريسةً للجُوعِ والشَّقاءِ. وفرَّ الراعِي المسكينُ هاربًا وجلسَ قربَ وادٍ مُوحِشٍ عميقٍ يبْكِي حَظَّه التّعِسَ، وشقــاءَه المستمــرَّ إلى أنْ أدركه الإعياءُ وأغمِيَ عليــه من شدَّةِ الهَمِّ والغَمِّ.

وعندما استيقَظَ الوزيرُ من نومِهِ وجَـدَ نفسَه مَا زَالَ مُضْطَجِعًا على أريكةِ صاحبِ الحَمَّامِ ففَرِحَ أشدَّ الفرحِ لأنّ ما رَآه كان أضغاثَ أحلَامٍ. واعتذَرَ للشيخِ عبدِ المحسنِ عن نومِهِ، واستأذَنَه في العوْدةِ الى مَنْزلِهِ.

وعَادَ الوَزيرُ الى منزلِهِ وهْو بين مُصدِّقٍ ومُكَذِّبٍ لكلِّ ما جَرَى لهُ. وقالَ في نفسِهِ: «إن هَذَا الشيخَ ليْسَ رجلاً عادِيًّا، وإنما وراءَه قصةٌ عَجيبةٌ وأسرارٌ غَريبةٌ.

وفي الغَدِ ذهبَ الوزيرُ الى السُّلطانِ ، وحكَى له عمَّا شاهدَهُ من عظَمة الحمّامِ وحُسنِ نِظامهِ وأنّهُ يليقُ بالسلطانِ أن يذهب الى هذَا الحمَّامِ ، وأن يستمتِعَ بمَا فيهِ . ولكنَّ الوزيرَ لم يذكُرْ لِلسُّلطانِ ما شَـاهدَهُ من أحْلامٍ مُزْعِجَةٍ ، وما قاسَاهُ فيها من تَعَبٍ وإرهَاقٍ .

وفي مساءِ اليوْم نفسِهِ ذهَبَ السُّلطانُ الى حَمامِ الشَّيْخِ عبد المحْسِنِ ، فوَقَعَ استقبَالُهُ بِحفَاوةٍ وإجلالٍ أكثرَ مِمّا استُقبِلَ بهِ وزيرُه . وأُعْجِبَ السلطانُ إعجَاباً لا مزيدَ عليه بمَا شاهَدهُ في الحمّامِ من جَمالِ التنْسيقِ ودِقَّةِ النِّظامِ ، وبمَا لَقِيَهُ مِنْ فَائِقِ العِنَايةِ من القَائِمينَ عليه .

وبعدَ أن انتهى السُّلطانُ من الاسْتحمَامِ استقبلهُ الشيخ عبدُ المحسِنِ وقدّم له عصيرَ اللَّيْمُونِ . ومَا إن اتَّكأَ السُّلطَانُ على الأرِيكَةِ حتَّى وجدَ نفسَهُ في صحراءَ قاحلةٍ لا ماءَ فيها ولا مرعَى . ولم يكنْ معَهُ إلاّ ثلاثةُ جِمالٍ جربـاءَ يرعَاهَا في هذهِ البيدَاءِ المُقفِرَةِ ، وهو عَاري الرَّأسِ ، حَافِيَ القَدمَيْنِ ، رثُّ الثِّيـــابِ ، له لِحْيَةٌ طويلةٌ كثَّةٌ تجمّعتْ فِيهَا الأتْرِبَةُ والأوْسَاخُ . ولم يَكُنْ لَهُ من طَعامٍ أوْ شَـرَابٍ إلاَّ ما تجُودُ بِهِ نَاقةٌ عجفاءُ هزيلةٌ مِن لَبَنٍ قليلٍ يسدُّ بِهِ رمَقَه .

وفي يومٍ من الأيَّام شرَدَ له بعيرٌ فقضَى كاملَ يومِهِ يُلاَحِقُهُ حتّى كادَ يقْضِي نَحْبَه

لِشدةِ ما نالهُ من التعبِ والجوعِ والعَطشِ ، وقَاسى في سبيلِ إِرجاعِ البعيرِ الشاردِ الأهوالَ والشدائِد .

وخيِّل الى السلطانِ أنّه مرَّ عليه اكثرُ من ثلاثةِ أَعوامٍ يعانِي الشقاءَ والبؤسَ. ثم شعرَ بشوْقٍ كبيرٍ إلى زوجتهِ وأطفالهِ بعد أن غابَ عنهم كلّ تلكَ الأعوامِ. وعندمَا رجعَ إلى بيتهِ بادرتْهُ زوجتُهُ بالإهانَةِ والشَّتيمةِ والصَّفعِ واللَّكمِ. ثم عمدَتْ إلى قِدرٍ مملوءةٍ بالزِّفتِ الحَامِي وألقتْ بهَا عليْه، فتهشَّمتِ القِدرُ فوقَ رأسهِ وسالَ الزِّفتُ الحَامِي على وجْههِ فأُغْمِيَ عليه من شدّة الألمِ. وكادَ يختَنقُ لمـَّا سدَّ الزفتُ فمهُ وانفَهُ.

واستيقَظ السُّلطانُ في حالةِ فزعٍ ورُعبٍ، فوجَدَ نفسَه مُتَّكئًا على أريكةِ الشيْخِ عبدِ المحسنِ ففرحَ أشدَّ الفرحِ ، وحمدَ اللهَ على أنَّ ما رآهُ كانَ مجَرَّدَ أحْلامٍ. واعتذرَ للشيخِ عبدِ المحسنِ عن نومهِ. ثم شكرَهُ على حسنِ ضيافتِهِ، وودَّعهُ عائدًا الى قصرهِ.

وفي صباح الغدِ اجتمعَ السلطانُ بِوزيرهِ، وقصَّ عليهِ ما رَأى من عجائبِ ذلك الحمَّامِ، كما ذكرَ له تلك الصُّورَ المُزْعجةَ التِي رَآها فِي منامهِ عندمَا كانَ مُتكئًا على اريكة الشيخ عبد المحسن .

فقال له الوزير :

- اعلم، يا مولايَ السلطانَ ، أنَّني رأيتُ مثلَ الذي ذكرْته لِي من الأحلاَم المزْعجةِ المُخيفةِ وأعتقدُ أن الذِي رأيْناهُ لم يكُن حُلمًا ، وإنما هو إنذارٌ من هذا الرجل السَّاحرِ. لقدْ أراد أن يهدِّدنا بذلك المصيرِ الذِي رأيناهُ في النوْم . وإنَّه لقادرٌ على ذلكَ.

واعلمْ - يا مولايَ - أن صاحبَ الحمَّامِ هو ذلكَ الشيخُ الذي جاءَ يخطبُ الأَميرةَ الى ابنه . وقد استطاعَ أن يُخفِي ابنَه على أنظار كافّة الناس ما عدَا أنظارَ الاميرةِ. كما استطاعَ أن يختطِفَ الأميرةَ كلّ ليلةٍ من داخلِ القصرِ دون أن تكونَ لنا القوةُ التي نَستطيعُ التغلُّبَ بهـَـا عليه . لهذا كلّه أرى أنه لابدَّ من اسْتِجــابة رَغبةِ هذا الشيخِ وإلاّ هَلكنَا كلّنا . والرأيُ الأولُ والأخيرُ لكُم ، يا مولايَ.

كان السلطانُ يستمعُ الى كلاَم وزيرهِ ، وهوَ مطرقٌ برأسهِ الى الأرضِ ، يفكِّرُ فيمَا يجبُ أن يفعلَهُ حتّى يتخلَّصَ منْ هذَا الشيخِ وقُدرتهِ العَجيبةِ ، وأفعالهِ الغَريبةِ ، وعندمَا انتهى الوزيرُ من كلامهِ ، رفعَ السلطانُ رأسه وقال له :

- هَذا ما كنتُ أفكّرُ فيه .

ثم فرَكَ جَبينَهُ بشدَّة . وقال للوزير :

- يجبُ أن نضعَ حدًّا لهذه المأســاةِ ، ابعثْ إلى هذَا الشيخِ ليأتِيَ عاجلاً إلينـا حتّى نَبتَّ في الأمْرِ معَهُ.

ولمْ يَمضِ وقتٌ طويلٌ حتّى كان الشيخُ في القصرِ عندَ السلطانِ. وبعدَ أن أدّى التحيّةَ أذِنَ لهُ السُّلطانُ بالجُلوسِ. وقال له:

- أيُّها الشيخُ الوقورُ. لقدْ سُرِرنَا كثيــرًا بِحمّامِك الجميلِ، وأعْجَبَنَا حُسْنُ نظامِهِ وترتيبِهِ. وسوف نُجَازيكَ على ذَلِك باستجابةِ رَغبتِكَ في مُصاهرتِنَا. لهذَا قرَّرْنا تزويجَ ابنتِنَا الأميرةِ إلى ابنِك «المختارِ». وبعد أسبوعٍ واحدٍ سيتمّ الزَّفافُ وتحتفِلُ بِتزوِيجهِمَا السلطنةُ كلُّها.

ابتهجَ الشيخُ عبدُ المحسنِ بكلامِ السلطانِ، فشكَرَهُ على حسنِ صَنيعهِ واستجابةِ رَغبتِهِ، ورِضاهُ بابنِهِ «المختارِ» زوجًا لابْنتِهِ.

وأرسَل السلطانُ إلى جميعِ حُكّامِهِ ونوّابِهِ بأطْرافِ السلطنَةِ يأمرُهمْ بإقَامةِ مَعالِمِ الزّينةِ وتَنظِيمِ الاحتفــالاتِ والمهرَجَــاناتِ، وتقديمِ المآدِبِ والوَلائِم الى عــامَّةِ أفرادِ الشعْبِ.

ومَا إنْ شاعَ الخبرُ فِي البِلادِ حتّى ابتهجَ كلُّ السُّكّانِ، لأنّ السلطانَ ترَكَ عادَته الشّائنَةَ، ولم يعُدْ يقطَعُ رؤُوسَ الذِينَ يخطُبـونَ ابنتَهُ وستَزولُ تلك المشاهدُ الكريهةُ التِي تبعث الرُّعْبَ والهَلَعَ في قلوبِ كافّةِ سكّانِ المدِينَةِ وزُوّارِهَا.

واستمرّتْ حَفلاتُ الزفافِ أسبوعًا كاملاً عرَف فيها الشعبُ البهجَةَ والانشِرَاحَ



بعدأن عَاشَ الناسُ سنواتٍ عديدةً في جوٍّ خَانِقٍ رهيبٍ .

وبعدَ انتهاءِ الزَّفافِ قالَ السلطانُ للشيْخِ عبدِالمحسِنِ :

- لقد فكّرْتُ - أيُّها الصهرُ العزيزُ - في بِنَــاء قصرٍ خاصٍّ بالسِّيدِ «المختــارِ» وزوجتِهِ ، وسوفَ أرتِّب الأمُـورَ ، وأهيِّىء الأسبــابَ ليُصبحَ « المختــارُ » وارثًا لِسَلْطَنتِي من بَعدِي .

ولكنَّ الشيخَ اعتذرَ للسُّلطانِ بِلُطْفٍ وقال لهُ :

- يجبُ أن نعودَ إلى وَطَنِنَا وبلادِ آبائِنَا وأجدادِنَا . فإن أهلَنَا ينتظرُونَنا هُنَالك، وقد غِبْنَا عنهم كثيرًا . وستزُوركم الأميرةُ وزوُجها «المختــارُ» في كلِّ مناسبةٍ وكلما اشتاقتْ هيَ إلى زيارتِكم . ونحنُ نرحِّبُ بقدومِكُم إلى وطنِنا لنُقَدِّمَ لكمْ بعضَ

ما يجبُ علينَا نحوَكُم . ولهذا ـ يا موْلايَ السلطـانَ ـ نحنُ نستأذِنُكُم في السَّفَرِ على أمَلِ اللقاءِ بكم إن شاءَ اللهُ.

وبعدَ تفكيرٍ طويلٍ قَبلَ السلطانُ ـ على مَضَضٍ فِراقَ ابنتِهِ الوحيدةِ مع زوجِها «المختارِ» لأنَّ السلطانَ أصبحَ يعتقِدُ أنّ سعـادَتها لاتكونُ إلا معَ زوْجِهَا الذِي أحَبَّتْهُ وأخلصَتْ في حُبِّهِ.

وبعد أسبُوعٍ جهّزَ السلطانُ قافلةً كبيرةً لِترَافِقَ ابنتَه وزوجَها والشيخَ عبدَ المحسِنِ الى بِلاَدِهم. ومنحهُم الكثيرَ من الهدَايَا ، وزوَّدهُمْ بِالطعَامِ الكَثِيرِ لأنَّهم سَيَقْطَعُونَ بلادَ السُّودَانِ والصَّحْرَاءِ الإفريقيةِ. ثمّ ودَّعَهُم في احتفالٍ كبيرٍ مؤَثِّرٍ.

وبعدَ مَسِيرةِ ثلاثةِ أشهُرٍ وصلَتِ القافلةُ الحدودَ التُّونسيَّة فودَّعَهُم رجالُها وعادُوا



إلى بلادِ الزِّنْجبارِ . أما المختارُ وزوجتُه والشيخُ عبدُ المحسِنِ فقدْ وَاصلوا طَريقَهُم ومعهُم ثلاثةٌ من الخدَمِ إلى أن وصلُوا مدينةَ تونِسَ .

وأمامَ مقبَرةِ الزَّلاَّجِ وقفَ الشيخُ عبدُ المحسِنِ ، وقال للمُخْتارِ :

- سوْفَ أُوَدِّعُك ، يـا ابنِي العزيزَ ، لقدِ انتهَتْ مُهِمَّتِي ، والحمدُ للهِ على سلاَمةِ الوُصُولِ .

فاندهَش المختـــــارُ من كلام الشيخِ ، والحَّ عليْهِ في الذَّهَابِ معهُ الى المنزِلِ . ولـكنْ الشيخَ عبدَ المحسِنِ امتنَعَ من الذّهَابِ معَهُ . وحثَّ خُطَـاه نحوَ المقبرَةِ بسُرْعةٍ كبيرةٍ ، فنزَلَ المختارُ من فَوْقِ دابَّتِهِ وجرَى وراءَهُ وسَطَ المقبرَةِ ، وإذا الشيخُ ينزِلُ في قَبْرٍ قديمٍ مفتوحٍ . وعندَمَا وصَل المختـارُ الى القَبْرِ وجَدَ الشيخ مُمَدَّدًا في القبْرِ يُغَطِّيهِ كَفَنٌ أبْيَضُ ، لا يظهرُ منه إلاَّ وجهُهُ فاستغرَبَ المختـــارُ من ذَلِكَ واحتارَ فِي أَمرِهِ . ولـكنَّ الشيخ عبدَ المحْسنِ بَادرَهُ بقوله :

- لا تتعجَّبْ ، يا وَلدِي . لعلَّكَ لم تعرفْنِي إلَى الآنَ . اسمَعْ مِنّي جَيّدًا مَا سأقولُه لكَ.. أَنَا ذلكَ الميّتُ الذي فكَكْتَهُ من اليَهُودِيّ المُرَابِيّ ، ودفعتَ عنِّي خمسَمِائةِ دينارٍ . ولقد يسَّرَ اللهُ لي أن أرُدَّ لكَ الجميلَ ، وأنْ أُجَازِيَكَ عَلَى معرُوفِكَ مَعِي.. فالوَداعَ.. الوداع . ولتعد أيها القبر الى ما كنتَ عليه..

ومَا إن أتَم الشيخ كلاَمَهُ حتّى أطبقتِ الارضُ عَلى القبْـرِ . ووجَـدَ المختــــارُ

نفسَهُ واقفًا أمامَ قبرٍ عَتيقٍ تُوفِّيَ صاحبُه منذُ أعــوامٍ، فتراجَعَ بعضَ خُطُوَاتٍ إلى الوراءِ خائِفًا مَذْعُورًا . ثم وقفَ يُفكِّرُ في أمرِ هذَا الشّيخِ الغريبِ وما صَنَعَهُ معَهُ. وخَشِي المختــارُ أن تضطَرِبَ زوجتُهُ وترتابَ في أمرِه ، فعادَ إليها دُونَ أن يظهَرَ عليه أيُّ ارْتباكٍ . واكتفَى بأن قال لَهَا :

ـ لقدْ أَصَرَّ الشيخُ على أن يُوَدِّعَنَا ، وأن يعودَ إلى مسْكَنِهِ.

وتابعَ المختـارُ طريقَهُ إلى منزلِهِ صُحبةَ زوجتِهِ والخَدَمِ الثلاثةِ . وفوجِئَتْ أُسرتُه بقدومِهِ عليْهم بعدَ أن يَئِسُوا من عَوْدَتِهِ، واعتقدُوا أنَّهُ مَاتَ فِي مكان مجهولٍ .

وقصَّ عليهِمُ المختـارُ ما جَرَى لهُ معَ الشيخِ عبدِ المحسِنِ منذُ أنْ فارقهُم بقصدِ الحجِّ إلى اليومِ الذي وصلَ فيهِ.

وعاشَ المختارُ معَ زوجتِهِ في هنَاءٍ وسعَادَةٍ ورَزَقَهُمَا اللهُ بأبناءٍ بَرَرَةٍ صَالِحِينَ. وكانتْ أسعَدَ أوقاتِ هؤلاءِ الأبناءِ عندمَا يجلسُونَ مع والدِهم ليقُصَّ عليْهم ذكرياتِهِ العجيبةَ، وحكايتَهُ الغريبةَ مع الشيخِ عبدِ المحسنِ من بِدَايتِهَا إلى نِهَايتِهَا .

أوُد لعمي

1979

الثمن :